

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإنسانُ في ميزانِ الإسلامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، رَفَعَ شَأْنَ الْإِنْسَانِ، وَأَغْدَقَ عَلَيْهِ فُيُوضَاتِ الْإِحْسَانِ، وَنَشَّهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، الْأَمْرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، النَّبِيُّ الْإِنْسَانُ، أَكْثَرُ الْخَلْقِ رَحْمَةً، وَأَعْظَمُهُمْ تَحَلِّيًا بِالْخِصَالِ الْحَسَنِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُسَارِعِينَ إِلَى بُلُوغِ دَرَجَاتِ الرَّضْوَانِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ؛ فَالْتَقُوا هِيَ خَيْرُ الزَّادِ، وَالطَّرِيقُ الْمُبْلَغُ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ الْعِبَادِ، ﴿وَتَكَرَّوْا فِي خَيْرِ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ﴾ (١).

عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو مَقَامٍ عَظِيمٍ، وَمَنْزِلٍ كَرِيمٍ، أَلَمْ يَقُلْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٢). فَأَيُّ تَكْرِيمٍ بَعْدَ هَذَا التَّكْرِيمِ؟ وَأَيُّ مَقَامٍ بَعْدَ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ؟ وَذَلِكَ الْخَلْقُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ هُوَ الْعَقْلُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْلُ! الْعَقْلُ الَّذِي عَلَّتْ بِهِ دَرَجَةُ الْإِنْسَانِ عَنِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَكَانَتْ بِهِ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الْكَائِنَاتِ، وَبِذَلِكَ الْعَقْلِ اسْتَحَقَّ أَنْ تَكُونَ الْمَخْلُوقَاتُ مُسَخَّرَةً لَهُ، وَالْخَيْرَاتُ مَسْوُوقَةً إِلَيْهِ، وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ عِلْمَ ذَلِكَ عِلْمَ الْيَقِينِ؛ فَوَجَدَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (وَسَخَّرَ لَكُمْ) (وَأَنْزَلَ لَكُمْ) (شَرَعَ لَكُمْ) (وَأَتَيْنَاكُمْ)، فَالْكُونُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مُسَخَّرٌ لَكَ، وَمَخْلُوقٌ مِنْ أَجْلِكَ، وَأَعْطَاكَ اللَّهُ عَقْلاً يُمَكِّنُكَ مِنَ التَّفَاعُلِ مَعَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيُعِينُكَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِتِلْكَ الْمُسَخَّرَاتِ ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣).

أَيُّهَا النَّاسُ:



(١) سورة البقرة/ ١٩٧.

(٢) سورة التين/ ٤.

(٣) سورة النمل/ ٨٨.

إِنَّ مَقَامَ التَّكْرِيمِ الَّذِي أَمَتَنَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مَا خُصَّ بِهِ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَاسْمَعُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١). بَلْ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ سَبِيلًا لِيَتَكَبَّرَ عَلَى غَيْرِهِ، وَكَيْفَ لِإِنْسَانٍ يَتَكَبَّرَ عَلَى أَخِيهِ الْإِنْسَانِ وَأَصْلُ الْخَلْقِ وَاحِدٌ، وَالْأَرْضُ الَّتِي يَعْيشُونَ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ، وَالسَّمَاءُ الَّتِي يَسْتَنْظِلُونَ بِهَا وَاحِدَةٌ، وَالْحَالُ الَّتِي يَعْيشُونَ فِيهَا وَاحِدَةٌ، وَالْمَالُ وَاحِدٌ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ النِّدَاءُ الرَّبَّانِيُّ الْكَبِيرُ لِلنَّاسِ مِنْ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى آخِرِ إِنْسَانٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢). وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ لِعِبَادِهِ التَّأَلُّفَ؛ فَمَا كَانَ التَّعَارُفُ إِلَّا لِيَكُونَ التَّأَلُّفُ، وَالْمَقَامُ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ التَّقْوَى، وَذَلِكَ سِرٌّ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٣). وَالسَّبِيلُ إِلَى بُلُوغِ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْعَمَلُ الْخَالِصُ، وَإِنَّ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ مَا أَثَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)).

أَيُّهَا النَّاسُ:

لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ لِيُحَافِظَ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ فَكَانَ مِنْ مَقَاصِدِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْعَرَاءِ حِفْظُ النَّفْسِ، بَلْ إِنَّ إِحْيَاءَ نَفْسٍ فِي مِيزَانِ الْإِسْلَامِ إِحْيَاءٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، وَإِنَّ قَتْلَ نَفْسٍ هُوَ قَتْلٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا؛ فَكَانَ مِمَّا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٤). بَلْ إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُرْشِدُ الْبَشَرِيَّةَ إِلَى أَنْ قَاتِلَ أَخِيهِ كَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ، وَتِلْكَ سَابِقَةٌ لِلْقُرْآنِ، وَحِفْظُ لَيْسَ مِنْ بَعْدِهِ حِفْظٌ لِنَفْسِ الْإِنْسَانِ، فَهَلْ تَجِدُ قَوْلًا كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذَا الشَّأْنِ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٥).



(١) سورة الإسراء/ ٧٠.
(٢) سورة الحجرات/ ١٣.
(٣) سورة النجم/ ٣٢.
(٤) سورة المائدة/ ٣٢.
(٥) سورة النساء/ ٢٩.